مؤسسة بحر العلوم الخيرية
العراق -النجف الاشرف
Bahr Al-uloom Charity Foundation
IRAQ - Holy Najaf
قسم الاعلام

لقاء الصحفية الدنماركية (Pernille Bramming)

زارت الصحفية الدنماركية (Pernille Bramming) لمؤسسة بحر العلوم الخيرية في النجف الاشرف و كان في استقبالها الامين العام للمؤسسة سماحة السيد محمد علي بحر العلوم، ودار بينهما هذا الحوار ، الذي بدأه السيد بحر العلوم مُرحّبا، فقال:

_نرحب بك في مؤسسة بحرالعلوم الخيرية و معهد العلمين للدراسات العليا وان شاء الله تجدين اجوبة تتناسب مع اسئلتك.

_الف شكر لكم، انا اعمل على تقارير مختلفة ولدينا صحيفة اسبوعية تنشر تقارير موسعة، في النجف نعمل على ثلاثة تقارير احدها عن الحياة الاكاديمية في النجف والثاني عن التطور الاقتصادي والعمراني في النجف بعد 2003، وقد زرت النجف في عام 1995 ولم يكن مسموحا لنا ان نتكلم مع اي احد لذا انا سعيدة جدا الان، البحث الثالث حول السياسة الشيعية ودور النجف في تهيئة الحشد الشعبي والتنافس الموجود بين النجف وقم ، والسؤال : من الذي سيخلف السيستاني؟ بعض الناس يعتبرون ان النفوذ الايراني يزداد في النجف، واشير الى ايران اعني بها ولاية الفقيه.

_ ابتداء اود ان اسجل ان ولاية الفقيه مسألة فقهية تبحث في الفقه الشيعي منذ ألف سنة، وهذه تُبحث في مسائل العقود والبيع والشراء، ومن هم اولياء العقد للصبي؟ وهم الاباء، اما اذا كان الصبي يتيما لديه اموال فإن الفقيه هو الذي يدير شؤون الصبي، وهناك كانت تبحث هذه المسألة فاختلف الفقهاء في مدى سعة وضيق الولاية التي تعطى للفقيه، هل ولاية الفقيه تقتصر على الايتام؟ الذين لا ولي لهم و الاوقاف التي لا يتولاها احد؟ او هي اوسع من ذلك؟ فكان الفقهاء لهم اراء متعددة، وفي الفقه الشيعي النبي و الامام لهم ولاية مطلقة ثم يأتي دور الفقهاء ، والفقهاء اختلفوا في سعة ولاية الفقيه هل هي ذاتها التي للإمام المعصوم او هي اقل بكثير ؟ الاعم الاغلب من الفقهاء قالوا أنها اقل بكثير،هذا من الناحية الفقهية .

أما من الناحية السياسية منذ مايقارب ثمانين سنة او اكثر بدأ ظهور الدول في المنطقة، قبل ظهور الدول كانت الخلافة العثمانية هي السائدة ، ولم يكن للشيعة دور في تلك الدولة ، ولم يكن هناك

دولة سوى الدولة الصفوية وهي دولة شيعية كان تأييد الفقهاء لها محل كلام واشكال، وقبلها كانت الدولة الفاطمية المعاصرة لمرحلة ضعف الخلافة العباسية ،وهي ليست شيعية اثنا عشرية مثلنا بل هي اسماعيلية، كما ظهرت امارات صغيرة كالحمدانيين في حلب ،والاسماعليين في بعض مناطق ايران ،وهذه الدول الصغيرة ظهرت على اثر المطالبة بحق علي وابنائه ولكنها ليست دولا دينية اي لا يديرها فقيه، فالفقيه الشيعي لم يتدخل في الشأن السياسي.

منذ الحرب العالمية وانهيار الدولة العثمانية وتقسيم الوطن العربي الى دول متعددة بدأ دور الفقهاء الشيعة يظهر ومركزهم كان النجف، فقهاء الشيعة في النجف كان لهم دور مهم في مواجهة الاستعمار الانكليزي وفي تثبيت الحكم العربي، من حدود 1914م، وبالخصوص علماء النجف وكربلاء وعندما تأسس الحكم الوطني بداية الملكية لم يطلبوا الحكم لأنفسهم وانما طالبوا بملك عربي لذلك كان الاختيار ان يأتي فيصل بن الشريف حسين، وهذه نقطة مهمة تعطي توجه النجف ان علماء النجف كان بإمكانهم اخذ الحكم لهم لكنهم لم يفعلوا.

ثم توالى الحكم في الدولة الملكية فلم يكن هناك انتخابات او غيرها، وانما تم الاختيار باعتبارهم عائلة شريفة وكانوا في السعودية والاردن وسوريا كلهم اولاد الشريف حسين والعراق كذلك، ففي الوثيقة التي وقع عليها علماء النجف نص (نريد ملكا عربيا مسلما) ثم بدأ العهد الملكي تحت الوصاية البريطانية ، وفي تلك الفترة ايضا في الثلاثينيات نشأ خلاف في ايران بين المشروطة والمستبدة ايام السلطة القاجارية ، المشروطة كانت تعني ان الحاكم يكون مقيدا بمجلس شورى، (برلمان) وكان محرك الشارع الايراني هم علماء النجف، وفي تلك الفترة ظهر اول كتاب يتناول الفقه السياسي كتبه الشيخ محمد حسين النائيني اسمه (تنبيه الامة وتنزيه الملة) تقريبا عام 1930، وهذا الكتاب يؤسس للنظام البرلماني وكيف يأخذ الشعب حقوقه من الحاكم ومنع الحاكم من الاستبداد وهو اول كتاب يكتب في الفقه السياسي في النجف وكل المجتمع الشيعي.

ولاية الفقيه انتشرت كنظرية سياسية مع الثورة الايرانية للإمام الخميني(ره) وقبله لم تكن نظرية ولاية الفقيه سياسية، واصبحت هذه النظرية قائمة وبدأ تطبيقها على الارض، وعلماء النجف على صعيد الدرس الفقهي لم يظهر منهم تبني لنظرية ولاية الفقيه، لذلك لم يطالبوا بالحكم ولا طالبوا ان يكون الفقيه حاكما.

كانوا دوما يطالبون بحقوق الشعب، وان يكون الحاكم عادلا وان لا يصبح دكتاتورا، هذا هو الخط العام لعلماء النجف حتى يومنا الحاضر، لذلك نرى خطوات السيد السيستاني تطالب دائما بمشاركة الناس واعطاء حق الاختيار للناس في حكومتهم.

في واقع الحال العراق بلد متعدد المذاهب والاعراق لذلك لا يمكن حكمه الا بتوافق الجميع لذلك كانت الخطوة المهمة للسيد السيستاني الدفع باتجاه ان يُكتب الدستور حتى يكون الدستور هو الحق المتفق عليه من الجميع، فاذا صار اتفاق بين الناس حول طريقة العيش يمكن ان يستمروا في بناء الدولة، هل اصبحت الفكرة واضحة؟

_ عندما كتب الدستور العراقي و اتصور تحديدا في المادة الثانية نصت على ان الاسلام هو مصدر القوانين ...

_ كلا لم تكن المادة هكذا بل نصت على ان لا يتعارض الدستور مع ثوابت احكام الاسلام ومبادئ الديموقراطية

_ و هكذا كانت المادة بمثابة الحل السحري !

_ لأن الوضع العراقي هو وضع مختلف عن كل البلاد الاخرى فهو ليس شيعيا بحتا كإيران وليس سنيا بحتا كالسعودية وليس علمانيا بحتا كتركيا وليس بعثيا كسوريا وليس ملكيا كالأردن، و انما هو نموذج خاص به فقط، فهو ليس دينيا بحتا و لا علمانيا بحتا، هناك اكثرية اسلامية لكنها ليست شيعية وبالتالي الحكم يجب ان يحترم عقائد الناس وارادتهم وفي الوقت نفسه لا يقول احد نريد حكما دينيا، قد تكون المعادلة صعبة لأن تجربة العراق هي التجربة الوحيدة في المنطقة و التي قد تؤسس لمفاهيم جديدة في معنى الدولة العلمانية، والدولة المدنية وليس بمفهوم النموذج الفرنسي ولكن قد نجد انفسنا امام نموذج جديد للدولة المدنية في المستقبل .

فبالنسبة للقومية العربية الاكراد قالوا نحن لسنا عربا لكننا جزء من العراق، فالعراق مؤسس جامعة الدول العربية لكنه لم يكتب في الدستور انه دولة عربية، بالنسبة للإسلام الامر كذلك لدينا اناس متمسكين بدينهم ولكنهم ليسوا كل الشعب فالدولة لا تستطيع ان تكون دينية ولا تستطيع ان تكون علمانية واعتقد ان كل الصعوبات التي نعيشها الان هي بسبب بناء هذا النموذج الخاص بالعراق اي كيف تتعايش هذه المفاهيم ؟ فالأكراد لا يستطيعون الاستغناء عن بغداد ،وليست كردستان كبقية المحافظات ، فهو بمثابة التحدي على صعيد القوميات والدولة، لذلك نلاحظ ان السيد السيستاني يقال له تدخّل لإصلاح الدولة ، فيقول انا لا اقول بولاية الفقيه فكيف اتدخل؟ بالطبع هو لم يقل هذا حرفيا لكن طبيعة تصرفاته هكذا تقول وهو في الوقت ذاته لا يستطيع ترك الشعب دون ارشادات وتوجيهات ونصائح، بعض الناس يريدونه ان يصلح الوضع كالسيد الخميني وبعضهم يريدونه ان لا يتكلم اصلا لكننا نراه يتخذ طريقا وسطا، واعتقد ان هذه هي طريقة النجف منذ 1914 م .

_ السيد السيستاني لعب دورا مهما يشاد به لكن من الناحية النظرية الدور الذي لعبه جاء بتقاليد متوارثة والظروف التي عاشها العراق هي التي سمحت لهذا الطرح ان يظهر وليس امرا خاصا به.

_ طبيعة المجتمع الشيعي انه يرتبط بالمرجعية بينما المجتمع السني يرتبط بالدولة، لذلك فالمحرك الاساسي للشعب هو المرجعية، فالسيد الخميني حرّك الايرانيين للمطالبة بالسلطة واسقاط النظام، السيد السيستاني لم يحرك الناس لإسقاط النظام وانما أرشدهم لطريقة بناء النظام الجديد، وهذا الاختلاف نتيجة الاختلاف في الرؤية الفقهية في كيفية المواجهة.

_ سبق و ان قرأت في احدى المقالات ان السيستاني يذهب الى ولاية الانسان بدل ولاية الفقيه ما معنى ذلك ؟

_ السيد السيستاني لم يصرح بشيء ولا يوجد تعبير معين يشير الى ذلك ، نحن لدينا ثلاثة قواعد (ولاية الفقيه، ولاية الامة، ولاية الانسان على نفسه) و قد تكون امور اخرى و السيد السيستاني لم يختر قاعدة معينة بشكل صريح لكن اذا رجعنا للبحث الفقهي الاصلي في باب البيع سنرى انه لم يكن هناك حديث عن ولاية فقيه عامة، لكن طبيعة مطالبة السيستاني بالدستور والانتخابات

معناه انه يريد للناس ان يبنوا حكومتهم بأنفسهم، وهذا ما يمكن ان نعبر عنه بإرادة الامة من أجل حكم نفسها وأخذ حقوقها .

_هل تتفق شخصيا مع رؤية السيستاني؟

_ نحن تابعون له، لذلك لا تخوف على النجف من ولاية الفقيه، ولاية الفقيه تحتاج الى مجتمع شيعي بالكامل، والعراق ليس كذلك.

_ هل يخشى الخامنئي من النجف على ايران؟

_ السيد السيستاني لم يظهر له أي تدخل في الشأن الايراني.

_لكن بالنسبة لرجال الدين في ايران و قلقهم من مدرسة النجف حيث يعتبرون وجودها تحديا لوجودهم

_ هذا صراع علمي

_ هل هو مجرد صراع علمي ؟

_ نعم الى هذه اللحظة !

_عندما اقرا بعض التفسيرات في بعض الصحف حول مدرستي النجف و قم و قوة تاثيرهما على الآخر على صعيد المثال هل السيستاني هو المؤثر على قم ام امثال الشاهرودي هم اصحاب التاثير في النجف ؟ هل هذه الامور كلها ظنون ؟!

_ عندما ننظر الى تاريخ المجتمعات الشيعية وخاصة نتأمل في موضوعة التقليد عند شيعة العراق نجد من النادر جدا ان يتبع العراقيون مرجعا يكون خارج النجف، قد يكون نفس المرجع ايرانيا او افغانيا لكن بشرط ان يكون ساكنا في النجف، بينما في ايران الامر ليس كذلك كانت ايران تقلد السيد الخوئي وهو في النجف فالحوزة في النجف عمرها 1000 سنة، اما الحوزة في ايران متأخرة وعمرها 150 سنة ، الان في ظل الجمهورية الاسلامية نمت الحوزة و قوى عودها واصبح لديها مؤسسات عديدة، ولكن كثير من الفقهاء الذين يقودون الحوزة في ايران قد تخرج من مدرسة النجف الاشرف .

_ اعتقد ان ٩٠٪ من العلماء في ايران لم يتفقو مع نظام ولاية الفقيه عند قيام الثورة الاسلامية في ١٩٧٩ م

_ هذا غير صحيح لأن في المجلس التأسيسي لمجلس الخبراء الاول كان السيد الكلبايايني والسيد الاراكي و فقهاء آخرون شاركو في انعقاده ، و90% نسبة غير صحيحة، صحيح كان هناك من الفقهاء غير مؤيدين للسيد الخميني ولكنهم لم يعترضوا عليه الا في حياة السيد شريعتمداري.

_ كيف ترى السنين القادمة و هل لديك خشية ممن يخلف السيستاني ؟

_ سابقا نحن لم نقلق في من سيخلف السيد الخوئي، الحوزة في النجف بدأت تقوى وترجع الى قوتها العلمية والتنظيمية وهي قادرة على ان تخرّج مراجع آخرين.

صحيح هذا ما اعتقدته لكن يبقى تصور المسالة امرا صعبا

_ المهم في الحوزة والذي نركز عليه هو ان يكون البناء الفكري والعلمي بناءً صحيحا وأن يكون مؤهلا لأن يكون مرجعاً، مهما كان رأيه ، لا نفتش عن رأيه قبل اختياره، وهذه طريقة الحوزة تركز على البناء ودائما هناك استعداد لوجود مجتهدين ومراجع.

_ بودي ان اسألك ما هو الله؟

_ الله هو كل شيء الخالق الصانع المدبر المحيي المميت و ....

_ في العالم الحديث مفهوم الله قد تغير وذلك بسبب تطور العلوم مثلا امكاننا رؤية النجوم بدقة و رؤية ما خارج هذه الكرة الارضية حتى طريقة فهم الدين قد تغيرت و نحن اليوم بحاجة الى لغة دينية جديدة

عندما تاتي اليوم بمفردة الجنة و النار سيسألك الناس اين تقع هذه الاماكن ؟! هل مكانهما بعد المجرات و الكواكب ؟!! حسب طريقتنا التقليدية في فهم الله، انه الاب الرحيم و المساعد لنا لكن اليوم كثير من الناس يفهمونه بطريقة مختلفة

_نحن لا ننظر الى الله بأنه أب، الأب اشبه بالإنسان المشفق الذي يرعى مصلحة ابنه، نحن ننظر لهذا الشيء ولهذا الوجود بنحو أكبر بكثير ، لأضرب لك مثالا : الجنين في بطن امه هل كان يفكر ان هناك عالما آخر غير العالم الذي يعيش فيه وهمه في حياته تلك كلها هو كيف ان يحصل على الغذاء وكيف يتم تكوين عظامه وهو لا يعرف بعد 9 اشهر انه سيكون في عالم آخر ، نحن الان مثل الطفل لانعرف سوى هذا العالم الله اخبرنا ان هناك جنة ونار ... ، فلو أخبر الطفل بوجود هذا العالم الخارجي هل كان سيصدق؟،نحن صدقنا لاخباره لنا ، وبما قام لدينا من أدلة على ذلك.

نظرتنا الى هذا العالم والعوالم الاخرى تغيرت عن السابق و انسان اليوم غير انسان قبل الالف سنة، فسابقا كان يظن الانسان ان الكرة الارضية هي حدوده، الان اصبح يعرف المجرة، كيف له ان ينفي وجود عالم اخر؟ ، فهو لا يعلم فاذا جاء له شخص و قال له انا اعلم، وهذا الذي يقول انا اعلم يقول أن علمه هو من الذي خلق كل شيء اذن هو بالتأكيد يعلم ، فالله هو ليس مجرد طاقة في الانسان، اساسا من الذي اعطى هذه الطاقة؟ ويبقى دائما السؤال من الذي اوجد العالم والكواكب كلها ، يبقى سؤالا بريئا صغيرا هل هناك من اوجد هذا التنظيم ام انه أنشئ وحده ؟

الفلسفة الحديثة تقول لا تسأل من الصانع بل انظر ماذا صنع فقط، واكتشف العالم واعرفه.

_هل هذه فلسفة الاسلام؟

_ كلا بل جزء من الفلسفة الغربية،

احيانا الانسان ينظر الى شيء ما و يدقق في جماله من دون ان يفكر فيمن جعله جميلا ، البعض ينظر الى العالم ويراه جميلا ويبحر في جماله ويريد اكتشاف سر جماله، لكنه لا يريد ان يفكر بصانع الجمال ، من جعله جميلا هو الله.

_ ما هي القضية الاهم بالنسبة لطلاب الحوزة في النجف، وما رأيكم بها؟

_ الهم الاكبر لكل العراقيين هو كيف نبني العراق، انا كرجل دين افكر كيف ندفع الناس نحو التفكير بشكل افضل والاختيار بشكل افضل والعمل الصالح دائما.

- ماذا تقصد من التفكير بطريقة افضل ؟

_ نحن في العراق عشنا 100 سنة نرفض الدولة؛ كانت الدولة دائما و خصوصا في زمن حزب البعث ضد مجتمعنا، لذلك كل فرد من مجتمعنا لم يكن يشعر انه مواطن عراقي، و لهذا السبب ليس هناك احترام لأموال الدولة و لا لقانونها لأنهم كانوا يقولون انه قانون صدام، الان يجب ان يعيد الناس احترامهم للدولة والقانون والاموال العامة ، هذه المفاهيم تنبني عندما يشعر الانسان انه مواطن وليس عندما يكون ذليلا، مثلا عندما اذهب و استخرج جواز سفر، فالموظف لا يمن علي بمنحي الجواز لأنه حقي، في الماضي كان من يحصل على هذا الشيء كأنما الدولة متفضلة عليه ، فالموظف هو يخدمني فالعراق يحتاج ان يشعر ناسه انهم مواطنون حقيقيون وان الدولة ملك الشعب وليس العكس، فالملك سابقا يقول انا ظل الله في الارض، و الرئيس لا يجعلني عبدا له وانما يخدم الناس فالدولة الحقيقية هي التي تقدم خدمات للناس، اعتقد ان هذا تحدي مهم نعيشه في العراق اليوم ونحن كرجال دين نحاول ان نزرع هذا الشيء في نفوس الناس، لكن السلطة السياسية التي جاءت للأسف لم تستطع تحقيق هذا الامر حتى الان، وهذا ما خلق ردة فعل لدى الشعب، واصبحوا يتساءلون: رحل صدام فماذا فعلتم؟ هذا السؤال يدور ، زوال صدام لم يكن خطأً ، ولكن الخطأ في كيفية ادارة السلطة السياسية الان.

انتهى /

24/3/2017
النجف الاشرف